بين المطرقة.. والسندان

توظيف الإسلام في

محمد السماك

لقد استُخدم الإسلام فى الصراعات الدولية أسوأ استخدام، وألحق هذا الاستخدام به أضراراً تشويهية فادحة. ووجد المسلمون أنفسهم واقعين بين مطرقة وسندان القوى المتصارعة

■■ يشكو المسلمون، كما يشكو غير المسلمين من توظيف الدين الإسلامى فى السياسة، وبصورة أخص فى الخلافات السياسية وحتى فى المحاور العسكرية. إن استغلال الإسلام فى الصراعات الدولية ليس جديداً. فهو لم يبدأ مع ٢٠٠١/٩/١١ ولن ينتهى بالحرب على الإرهاب. وسيبقى الإسلام مادة لهذا النوع من الاستغلال طالما أن المؤمنين به فى حالة ضعف واستضعاف رغم كثرتهم (مليار و٢٥٠ مليون مسلم)، وطالما أن توازن القوى يعطى المتلاعبين به اليد العليا فى لعبة الأمم.

فخلال الحرب العالمية الأولى جرت أول عملية لاستغلال الإسلام. قامت بتلك العملية ألمانيا من جهة، وبريطانيا من جهة ثانية ومعاكسة. فالتحالف الألمانى العثمانى حمل اسطنبول باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية على إعلان «الجهاد المقدس» ضد بريطانيا وحلفائها (فرنسا وإيطاليا) فى الحرب. كانت الغاية من هذا الإعلان تحريض الشعوب الإسلامية ضد بريطانيا فى آسيا الوسطى (انطلاقاً من أذربيجان التى كانت ألمانيا تتطلع إلى ثروتها النفطية منذ ذلك الوقت) وفى الشرق الأوسط الذى كانت تتقاسم السيطرة عليه بريطانيا وفرنسا امتداداً حتى الهند التى كانت فى ذلك الوقت دولة واحدة مع الباكستان وبنجلادش، والتى كانت تعتبر درة التاج البريطانى. كانت ألمانيا تمنى النفس بتوسيع تحالفها مع تركيا ليشمل هذا التحالف إيران وأفغانستان امتداداً إلى مسلمى القارة الهندية. ومن أجل ذلك أوفدت بعثات سرية إلى كل من طهران وكابول بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٥. استهدفت تلك البعثات إقناع المرجعيات الشيعية بإعلان الحرب المقدسة على بريطانيا[1]، على غرار ما فعل الأتراك.

بدا للألمان انهم نجحوا فى خطتهم، إلا أن أمير أفغانستان آثر بعد تردد الالتزام بالحياد. أما المرجعيات الشيعية فأعادت النظر فى حساباتها على خلفية الصراع العثمانى - الفارسى وقررت الالتزام بالوقوف إلى جانب بريطانيا. وبالتالى ضد التحالف العثمانى - التركى.

بعد نجاحها فى تفشيل المسعى الألمانى، تحركت بريطانيا فى ردّها على الدعوة العثمانية للجهاد المقدس باتجاهين مختلفين:

تركز الاتجاه الأول على استقطاب مسلمى القارة الهندية، واستهدف تحريضهم على العصيان الدينى على الخلافة العثمانية. وفى هذا الإطار تمكّنت المخابرات البريطانية من تشكيل

حركات دينية - سياسية انطلاقاً من إيران وامتداداً حتى الهند، مروراً بأفغانستان. فقامت الحركة القاديانية، والحركة البابية والحركة الأحمدية، سواها. ولا تزال هذه الحركات مستمرة حتى الآن. وهى تتميز بخروجها عن إجماع أهل السنة، وعن الشيعة الاثنى عشرية على حد سواء. كما أنها لا تزال، وحتى الآن أيضا، على علاقة وثيقة ببريطانيا.

أما الاتجاه الثانى للردّ البريطانى فتركز على العالم العربى وذلك من خلال استقطاب الشريف حسين وإغراقه بالوعود (التى نكثتها كلها بعد انتهاء الحرب) وفى مقدمتها الوعد بإقامة دولة عربية موحدة يكون هو ملكاً عليها. وقد أدى هذا التحرك البريطانى إلى إحداث الشرخ الذى لا يزال قائماً حتى اليوم بين العرب والأتراك والى تعميق الشرخ بين الأتراك والفرس. وعندما احتلت بريطانيا العراق بعد ذلك فى إطار اتفاقية سايكس - بيكو بينها وبين فرنسا، ألغت منصب الخلافة، ونصبت فيصل الأول ملكاً على العراق.

وخلال الحرب العالمية الثانية تغيرت المعادلات الدولية، فتحالفت إيطاليا مع ألمانيا وتحالفت تركيا مع بريطانيا وفرنسا. حاولت ألمانيا فكّ الارتباط التركى. البريطانى الفرنسى. وقام بتلك المحاولة مبعوث ادولف هتلر الخاص إلى اسطنبول فرانز فون باين Franz Von Papen . جرى ذلك فى عام ١٩٤٠. كان طموح هتلر استعادة تركيا وامتداداً العراق الذى تفجرت ثروته النفطية الضخمة منذ ذلك الوقت، وكان النفط ولم يزل شريان الحياة للآلة العسكرية الألمانية والبريطانية معاً.

حاول المبعوث الألمانى بابن إغراء تركيا بإطلاق يدها فى آسيا الوسطى، ولما فشل، حاول إقناعها على الأقل بالحياد، ولكنه فشل أيضا. ونتيجة لهذا الفشل المزدوج توجهت ألمانيا مباشرة إلى العرب المسلمين وحاولت الدخول إلى قناعاتهم من مدخلين مختلفين:

المدخل الأول هو خيبة الأمل العربية من الوعود البريطانية الكاذبة فى الحرب العالمية الأولى (رسائل الشريف حسين - مكماهون).

أما المدخل الثانى فهو القلق العربى من مشروع إقامة دولة يهودية على أنقاض فلسطين، بمساعدة ودعم من بريطانيا والولايات المتحدة.

أدّى المدخل الأول إلى تمكّن ألمانيا من جذب متطوعين مسلمين من العرب للقتال فى صفوف الجيش الألمانى. وأدى المدخل الثانى إلى استقطاب الحاج أمين الحسينى مفتى القدس، مما وفر لألمانيا الهتلرية مظلة إسلامية شعبية تجسدت فى تشكيل فرقة من المتطوعين فى شمال أفريقيا قاتلت القوات الإيطالية المتحالفة مع فرنسا وبريطانيا. أما المتطوعون المسلمون العرب الذين نقلوا إلى ألمانيا نفسها، فقد قضى عليهم فى حملة باباروسا المأساوية الفاشلة التى شنتها ألمانيا على روسيا والتى قصمت ظهر القوة العسكرية الألمانية وأدت إلى هزيمتها بعد ذلك.

لقد دفع العرب والمسلمون - ولا يزالون - ثمن التعاون الشكلى والمحدود مع ألمانيا رغم المواقف المعاكسة التى اتخذتها الدول العربية كافة بإعلان الحرب عليها استجابة لطلب بريطانيا وفرنسا. ولا تزال تهمة اللاسامية تطارد المسلمين حتى اليوم بسبب ذلك التعاون - الذى لا يذكر - مع ألمانيا الهتلرية على قاعدة معارضة المشروع الصهيونى فى فلسطين. فيما قطف اليهود ثمن انتصار الحلفاء (الولايات المتحدة - الاتحاد السوفيتى - بريطانيا - فرنسا) على المحور (ألمانيا - إيطاليا - اليابان)، إقامة إسرائيل وحمايتها حتى اليوم.

طوال أكثر من أربعين عاماً من الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتى على رأس حلف وارسو والولايات المتحدة على رأس حلف شمال الأطلسى، كان العالم الإسلامى موضع شدّ وجذب بين الحلفين. كانت الولايات المتحدة تستنهض الحمية الإسلامية ضد الشيوعية باعتبارها دعوة كفر وإلحاد. وكان الاتحاد السوفيتى يتقرّب من العالم الإسلامى - وخاصة من الدول العربية - من بوابة الدعم السياسى (فى مقابل الحماية الأمريكية لإسرائيل) والدعم العسكرى (صفقة الأسلحة التشيكية مع مصر)، وكذلك الدعم الاقتصادى (بناء سدّ أسوان فى مصر وسدّ الفرات فى سورية). وانعكس هذا التجاذب انقسام العالم العربى إلى معسكرين أحدهما موالٍ لمعسكر واشنطن والآخر موالٍ لمعسكر موسكو. وقد شهدت أفغانستان المرحلة الأخيرة من مراحل هذه الحرب الباردة.

كان السوفييت الذين يحتلون - منذ العهد القيصرى - دول آسيا الوسطى - الإسلامية - يتطلعون إلى الوصول إلى المياه الدافئة فى الخليج على أمل أن يضعوا يدهم على ثروته النفطية، وعلى شبكة الطرق التى تربط أوروبا الغربية بالشرق الأقصى. وكانت الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، تعرف ذلك، وتتصدى له. ولكن عندما احتلّ السوفييت أفغانستان بدا وكأن المشروع السوفيتى فى طريقه إلى التنفيذ.

كانت الولايات المتحدة فى ذلك الوقت لا تزال تضمد جراحها المادية والمعنوية من حرب فيتنام. وكانت حريصة على منع الاتحاد السوفيتى من استغلال ظروف معاناتها للتوسع جنوباً نحو بحر العرب عبر باكستان وإيران. فكان القرار الأمريكى بإثارة حمية المسلمين ضد الشيوعية الكافرة، وضد الاتحاد السوفيتى رمز هذا الكفر، باعتباره يحتلّ أرضا إسلامية.

عملت الولايات المتحدة على تحريض الشعب الأفغانى وبالغت فى مساعدته لرفض الاحتلال السوفيتى. كما عملت فى الوقت نفسه على تحريض الشعب الباكستانى لدعم شقيقه الشعب الأفغانى المسلم. وحثّت الدول الإسلامية الأخرى فى الجزيرة العربية وخاصة السعودية والكويت ودول مجلس التعاون على تمويل «الثورة الإسلامية الأفغانية ضد الشيوعية الملحدة».

وهكذا بدأت أفغانستان تغرق بالأسلحة الأمريكية، وبالأموال الإسلامية، وبالمتطوعين المسلمين.. إضافة إلى اهتمام وتعاطف الإعلام الغربى. فقامت فى الباكستان معسكرات التدريب العسكرى تحت غطاء مدارس دينية. وتحول الطلاب.. إلى حركة طالبان القتالية التى كان الإعلام الأمريكى يطلق عليها عبارة حركة المجاهدين الأفغان. ولما انتصرت تلك الثورة فى عام ١٩٨٩ وأخرجت القوات السوفيتية من الأراضى الأفغانية (كانت هزيمة هذه القوات أحد الأسباب الرئيسية لسقوط النظام الشيوعى والتحول نحو الرأسمالية والليبرالية على يد الرئيس جورباتشوف)، تغيّر الموقف الأمريكى منها وأصبح الإعلام الأمريكى يصفها بأنها حركة إرهابية. بعد أن وضعت الحرب الأفغانية (الإسلامية) ضد السوفييت (الشيوعيين الكفار) أوزارها، غادر معظم المجاهدين المسلمين أفغانستان عائدين إلى بلادهم، حاملين معهم خيبة الأمل التى حولت شرف انتصارهم على السوفييت إلى وصمة عار إرهابية. فقامت كردّ فعل على ذلك، حركات العنف فى مصر والأردن والجزائر وإندونيسيا على أمل تحقيق الحلم الذى تحول إلى كابوس فى أفغانستان. ولا تزال هذه الدول - وغيرها من الدول الإسلامية كالسعودية والمغرب والكويت - تدفع ثمن خيبة أمل الأفغان العرب حتى اليوم. أما أفغانستان نفسها فخرجت من الاحتلال السوفيتى إلى الاحتلال الأمريكى.

ولم تتعامل كل الدول الإسلامية مع الأفغان العرب ومع الأفغان الباكستانيين بقدر كاف من التفهم والحكمة والاستيعاب، فلجأ بعضهم إلى عدد من الدول الغربية (بريطانيا - ألمانيا - فرنسا، إيطاليا وحتى إلى الولايات المتحدة نفسها) حيث تتوفر أنظمة ليبرالية أكثر احتراماً لحقوق الإنسان.

طالبت الدول الإسلامية باستعادتهم لمحاكمتهم بتهم ارتكاب أعمال عنف وتجاوز القوانين. ولكن الدول الغربية التى لجأوا إليها وجدت فيهم. على ما يبدو - أداة صالحة للاستغلال فى الوقت المناسب ضد حكوماتهم أو ضد جماعات إسلامية أخرى مناوئة لهذه الدول الغربية. فرفضت تسليمهم بحجة احترام حق اللجوء السياسى. حصل بعضهم على جنسية الدولة التى هاجر إليها. وأنشأ بعضهم الآخر جمعيات وتنظيمات دينية تحت سمع الدولة المضيفة وبصرها.. على أمل أن تتحول هذه الجمعيات والمنظمات عندما تدعو الحاجة إلى ذلك إلى أدوات بيد السلطات التى آوتهم.

الصراعات الدولية

مسكين الإسلام،
كم من جريمة
ترتكب باسمه!!

بين المطرقة والسندان

ارتفعت المطالب الرسمية الملحة من مصر والسعودية وسورية والمغرب باستعادتهم دون طائل. ومما زاد الطين بلة، نجاح هؤلاء باتخاذ الإعلام الغربى منبراً للترويج لأفكارهم ضد حكومات دولهم وأنظمتها. غير أن تنظيم القاعدة عرف كيف يعيد توظيف معظم هؤلاء من جديد. فقامت الخلايا السرية - هامبورغ ومدريد وباريس وميلانو التى شاركت بطريقة أو بأخرى فى العمليات الإرهابية التى استهدفت نيويورك وواشنطن:- ٢٠٠١/٩/١١، وقطار مدريد ٣/١١/ ٢٠٠٢، وشبكة المواصلات فى لندن ٨/٧/ ٢٠٠٥، وقبل ذلك بالى وجاكرتا فى إندونيسيا والدار البيضاء فى المغرب، والرياض وجدة ومكة فى السعودية، والأقصر والقاهرة فى مصر.

لقد كان يسيراً على تنظيم القاعدة وقد قسم العالم إلى فسطاطين كفر وإيمان، ان يعيد تأهيل هذه العناصر لينقلها من المعسكر المعادى لأنظمة دولها التى تطالب باسترجاعهم لمحاكمتهم، إلى المعسكر المعادى لـ«الكفار» (؟).. أى للدول التى يقيمون فيها. وكانت النتيجة أن الإسلام دفع ثمن الرد الانتقامى على عملية ٢٠٠١/٩/١١، احتلال أفغانستان ثم العراق، وفوق ذلك كله، توجيه الاتهام الجماعى للمسلمين بأنهم إرهابيون، وإلى الإسلام بأنه مصدر للفكر الإرهابى!.

لقد استخدم الإسلام فى الصراعات الدولية أسوأ استخدام، وألحق هذا الاستخدام به أضراراً تشويهية فادحة. ووجد المسلمون أنفسهم واقعين بين مطرقة وسندان القوى المتصارعة. حدث ذلك فى عام ١٩٩٠ فى البوسنة عندما نشبت الحرب بين الصرب (الأرثوذكس) والكروات (الكاثوليك) بعد انهيار الاتحاد اليوغسلافى، ويحدث اليوم فى الشيشان حيث التنافس بين روسيا التى تدافع عن اتحادها، والولايات المتحدة التى تعمل جاهدة على تمديد نفوذها السياسى والعسكرى شرقاً حتى الحدود الروسية، وعبر الشيشان إلى العمق الروسى!..

ففى لعبة الأمم يكون الإسلام جيداً عندما يكون قابلاً للتوظيف والاستغلال. ولكنه يصبح دين تخلّف وإرهاب عندما تستنفد الأغراض من وراء استغلاله وعندما تنتفى الحاجة إلى ابتزازه، أو عندما يستعصى على الاستغلال أو الابتزاز.

مسكين الإسلام، كم من جريمة ترتكب باسمه!!.

على أن استخدام الإسلام ما كان ليتحقق بضعف المسلمين واستضعافهم فقط. فهناك عامل آخر لا يقلّ أهمية، شجع فى السابق ويشجع اليوم على القيام بهذه العملية. ويتمثل هذا العامل فى صورة الإسلام فى الثقافة الغربية. وهى ثقافة تشكل فى حدّ ذاتها أرضية صالحة لتبرير أى موقف سلبى وحتى أى موقف عدائى من العالم الإسلامى لدى الرأى العام الغربى بصورة عامة. وإذا كانت هذه الصورة السلبية قد تكشفت بعد جريمة ٢٠٠١/٩/١١ فى نيويورك وواشنطن، فقد كانت موجودة ومترسخة قبل هذه الجريمة.

مرحلة ما قبل ٢٠٠١/٩/١١

فى منتصف القرن التاسع نشر المؤرخ البيزنطى جورج هامر تولوس كتاباً عن تاريخ الإنسانية، فى الفصل ٢٣٥ من هذا الكتاب وصف المسلمين بأنهم «رجال أغبياء مشوشو العقول»[٢]. ومن بعده وجّه الراهب الفرنسى هيو كلونى (١٠٤٩-١١١٩) رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية، مبرراً دعوته بقوله: «لقد خدع الشيطان أحفاد إسماعيل بالنسبة لإيمانهم بمن يعتقدون انه نبى، فكان طبيعياً ان يكون عقابهم نار جهنم»[٣]. ومن خلال هذا النص فانه يقدم القرآن على انه عمل شيطانى، كما يقدم النبى محمد عليه السلام على أنه رجل مخادع، ويصوّر المسلمين على انهم مخدوعون مصيرهم جهنم.

وفى أواسط القرن التاسع عشر حرمت الحكومة الإنجليزية على رعاياها شرب القهوة. كانت حبات البن تُعرف يومذاك باسم «حبات محمد». وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيته إلى الإسلام وأن الأتراك المسلمين يتآمرون على المسيحية فى بريطانيا من خلال القهوة.

وقد تمكّن رئيس أساقفة كانتربرى الأسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم فى عام ١٦٣٧ يمنع أى بريطانى من اعتناق الإسلام ويحرم شرب القهوة.

توجد فى متحف هانوفر بألمانيا مخطوطة من القرن السابع عشر تحمل توقيع الفيلسوف الألمانى ليبنيز. المخطوطة موجهة إلى الملك الفرنسى لويس الرابع عشر تدعوه بإلحاح إلى غزو الشرق، مصر وبلاد الشام. تتضمن المخطوطة ثلاثة إغراءات للقيام بالمهمة:

كان الإغراء الأول عبارة عن دراسة ميدانية وصفية لحالة الضعف العسكرى والتناحر السياسى التى كانت مستشرية فى هذه المنطقة ؛ وشمل الوصف كذلك مواقع الحصون والقلاع تسهيلاً لمحاصرتها وإسقاطها. (تقرير استخباراتى)

أما الإغراء الثانى فكان عبارة عن محاولة لاستنهاض حمية الملك الفرنسى حتى يقوم بالمهمة التاريخية. فقد رفعه الفيلسوف الألمانى إلى مصاف الإسكندر المقدونى والقيصر الرومانى اللذين تمكّنا من السيطرة على الشرق وإخضاعه.

وتمثّل الإغراء الثالث فى محاولة إثارة العصبية الدينية للملك الفرنسى عندما دعاه ليبنيز إلى العمل على تحقيق الهدف المقدس من الحروب الصليبية التى انتهت فى عام ١٢٧٠ وهو تحويل الشرق إلى المسيحية وربطه بالغرب مرة جديدة والى الأبد.

فى ذلك الوقت كان الجيش الفرنسى الأقوى فى أوروبا. وكان على رأس ألمانيا الملك دوشنبون الذى كان يمثل حالة ألمانية استثنائية - ربما - فى نزوعه نحو السلام الأوروبى. اعتقد الملك لويس الرابع عشر أن رسالة صديقه الفيلسوف الألمانى تستهدف إغراءه لإبعاد الجيش الفرنسى من أوروبا إلى الشرق. ولذلك رفض الاستجابة. لكن هذه المخطوطة التى انتقلت فيما بعد إلى نابليون ربما شكلت أحد العوامل التى أغرته وشجعته على تغيير أولوياته العسكرية من غزو إنكلترا إلى غزو مصر. وهكذا بدلاً من أن يُسقط نابليون إنكلترا، لحقت به إنكلترا حتى مصر حيث وجهت إليه فى أبى قير الضربة التى عجلت بسقوطه فيما بعد فى معركة واترلو.

قبل وفاة الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نكسون صدر له كتاب عنوانه «اقتناص اللحظة». كشف فيه بكثير من الوضوح عن ثقافة كراهية الإسلام. فقال فى الصفحة (١٩٥):[٤].

«يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة. وان نمو عدد اتباعه، ونموَ قوته المالية سوف يفرضان تحديا رئيسيا. وان الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من اجل مواجهة عالم إسلامى معاد وعنيف. إن وجهة النظر هذه، يضيف نيكسون، تعتبر أن الإسلام والغرب على تضاد. وان المسلمين ينظرون إلى العالم على انه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الحرب».

عكس نيكسون فى كتابه صورة بشعة عن العالم الإسلامى عندما قال: (ص ١٩٤): «إن معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا لأن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاما على مناطق تحتوى على ثلثى الاحتياطى العالمى المعروف من النفط».

ولا شك فى أن كثيرين فى الولايات المتحدة وفى الغرب يشاركون نيكسون وجهة نظره التى يقول فيها (ص ١٩٦) «انه يوجد فى العالم الإسلامى عاملان اثنان مشتركان فقط: هما الدين الإسلامى والاضطراب السياسى». وهذا يعنى أنه بما أن مصدر الدين هو القرآن، فإن مصدر الاضطراب هو العمل بما جاء فى القرآن.

بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتى وانحلال حلف وارسو، جرى تصعيد متعمد للعدوانية الغربية ضد الإسلام، حتى أن مدير معهد بروكنغز فى واشنطن Brookings Institution هيلموت سوننفيل Helmut Sonnenfeldt يقول: إن حلف شمال الأطلسى سوف يعيش، وأن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة. وستبقى هذه المجموعة

فى الثقافة الغربية الدين ماضٍ.
والتمسك بالدين هو ارتداد عن المستقبل.
من هنا فان الثقافة الغربية لا ترفض
الإسلام كإسلام، ولكنها ترفض الدين،
إسلاميا كان أو مسيحياً

بين المطرقة والسندان

متماسكة معا من خلال الشعور بخطر خارجى: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامى». ويعزى هذا التطرف الإسلامى دائماً وباستمرار إلى نصوص قرآنية، مع استبعاد أى عامل سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى آخر.

وفى ربيع ١٩٩٠ ألقى هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق خطابا أمام المؤتمر السنوى لغرفة التجارة الدولية، قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التى يتحتم على الغرب مواجهتها هى العالم العربى الإسلامى، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب (لاحظ كلمة الجديد أى بعد سقوط الشيوعية)». وان حلف الأطلسى باق، رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب فى أوروبا، ذلك أن «أكثر الأخطار المهددة للغرب فى السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفى نهاية التسعينيات فإن اخطر التحديات للغرب ستأتى من ناحيتى الجنوب (أى المغرب العربى) والشرق الأوسط».

وكانت مجلة الايكونوميست البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت فى الوقت نفسه على الغلاف موضوعا بعنوان: «الإسلام الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب». وهذه الأيديولوجية قائمة على القرآن الكريم وعلى التزام المسلمين به.

وجاء فى دراسة أخرى نشرتها مجلة ألمانية متخصصة فى الدراسات الاستراتيجية[٥]:

اثر انتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية فى عام ١٩٩٠ أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسى ولى كلايس (تولى منصب وزير الاقتصاد فى بلجيكا فيما بعد): «لقد حان الوقت الذى يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وان نواجه العدو الحقيقى لنا جميعاً وهو الإسلام.. إن الأصولية الإسلامية هى على الأقل فى مستوى خطورة الشيوعية سابقاً». ومن شأن هذه المقارنة أن تقدم للغرب القرآن الكريم على انه مماثل للمانيفستو الشيوعى. وبالتالى فإنه كما كان كارل ماركس ولينين مصدر الخطر على الغرب والرأسمالية، كذلك هو الإسلام ممثلاً بالقرآن وبالنبى محمد عليه السلام.

وفى حزيران - يونيو من عام ١٩٩٤ انتهت مهمة الجنرال جون كالفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسى. وفى الاحتفال التكريمى الذى أقيم له فى بروكسل، ألقى كلمة تحدث فيها عن الآفاق المستقبلية للحلف ولدوره. تستوقفنا من كلمته العبارة الآتية: «لقد ربحنا الحرب الباردة وها نحن نعود بعد ٧٠ عاماً من الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ ١٣٠٠ سنة. انه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام».

الواقع أن المشاعر المعادية للإسلام وللمسلمين هى التى تجعل من الإسلام عدواً عند الضرورة وهى التى تجعل من صورة هذا العدو، المقررة سلفاً والمغروسة فى الثقافة العامة أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب. فإثر إحراق آبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقى فى عام ١٩٩٠ طرحت جماعة من حزب الخضر فى ألمانيا نظرية تجاوزت فيها الحديث عن الصراع بين الإسلام والغرب لتقرر أن ثمة صراعاً بين الإسلام والتنوير والتحرير أيضا. وطالب آخرون من الخضر الألمان ببوليس دولى لحماية البيئة من المسلمين العرب!!.

يلاحظ المفكر الأمريكى صموئيل هنتنغتون فى دراسة نشرتها مجلة الشؤون الخارجية (فورن افيرز) الأمريكية ونقلت مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية (عدد ١٩٩٣/٦/٨) أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية. وفى معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لملء هذا الفراغ على يد حركات غالبا ما تتصف بالأصولية كالمسيحية الغربية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية والإسلام.

وفى مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأمريكية (١٩٩٣/٦/٢٨) سألت المجلة البروفيسور هنتنغتون: إنك تؤكد أن الصراع المقبل الذى سيواجهه الغرب سوف يأتى من العالم الإسلامى. لماذا؟

أجاب هنتنغتون على السؤال بقوله: «إن الإسلام هو الديانة الأشد صرامة فى العالم خارج المسيحية. لا يوجد فصل بين الدين والسياسة. ثانيا، هناك شعور بأن العالم الإسلامى قد تعرض للضرب واستغل على يد الغرب، وان ثمة نوعا من الصحوة فى طريقها إلى البروز مصدرها القرآن. إن الصراع سيأخذ عدة أشكال. والواحد منا لا يريد أن يظن بأن هذا يعنى قيام حرب ماحقة بين الإسلام والغرب».

وحتى اليوم، وفى أكثر الأحيان، عرف المسلمون العالم الغربى من خلال الأنظمة الاستعمارية، وباختصار، يجب أن نعى بكل موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد، كمجموعة، الشرط الأول والاهم الذى يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين فى عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته.. وعلى هذا الأساس، فان الحوار لن يكون ممكناً طالما أن مثل هذا الجهد لم يبذل بعد».

مرحلة ما بعد ٢٠٠١/٩/١١

قبل هذا التاريخ، كان قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية فى الولايات المتحدة يعبّرون عن كراهيتهم للإسلام ويصبّون جام حقدهم عليه، ومن أبرزهم جيرى فولويل وبات روبرتسون وفرانكلين غراهام وهول ليندسى وكثير غيرهم. فهم يعتبرون أن المسلمين بوقوفهم فى وجه الإسرائيليين يعطلون المشيئة الإلهية ويؤخرون العودة الثانية للمسيح.

وقد ازداد نفوذ هؤلاء القساوسة السياسى فى عهد الرئيس جورج بوش، ثم بعد جريمة ٢٠٠١/٩/١١. فالرئيس الأمريكى مدين لهم بالانتقال من حالة الإدمان على المسكرات إلى الإيمان بـ«الولادة الثانية»، وبالعمل من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح. وتحت مظلة هذه العلاقة فإن القس ليندسى حذر من «أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية - المسيحية التى تشكل أساس الحضارة الغربية. انهم كالشيوعيين فى أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً»[٦].

كذلك فان القس بات روبرتسون وصف الإسلام بأنه «دين الإرهاب».. وأنه «يهدف إلى السيطرة على العالم». كما اتهم المسلمين الأمريكيين بأنهم ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة». وجاءت تلك الاتهامات من خلال برنامجه التلفزيونى الواسع الانتشار «نادى السبعماية».

ووصف القس جيرى فاين Jerry Vine النبى محمد عليه السلام فى مؤتمر المحفل المعمدانى الجنوبى الذى عُقد فى فلوريدا فى عام ٢٠٠٢ بأنه الشيطان نفسه[٧].

وكان فرانكلين غراهام Franklin Graham وهو نفسه أيضا الذى ترأس الصلاة الخاصة بمناسبة أداء القسم الدستورى للرئيس جورج بوش الابن، قد قال عن الإسلام انه دين شيطانى وشرير[٨]، وقال عنه القس جيرى فولويل انه دين «مزوّر».

وهذه الأوصاف والنعوت توجه أساسا إلى القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع ومنبع الثقافة فى الإسلام.

ولم يجد القس غراهام فى المسلمين الأمريكيين «أيا تكن أصولهم سوى أعداء للديموقراطية والليبرالية ولطريقة عيشنا»..، وعندما احتج المسلمون الأمريكيون على هذه الأقوال لأنها تحرض الأمريكيين الآخرين عليهم، ردّ غراهام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمروا برجى مركز التجارة الدولى فى نيويورك لم يكونوا من اللوثريين ولا من الميثوديين، بل كانوا من المسلمين.. ولذلك فإن وجودهم يشكل خطراً على المجتمع الأمريكى».

تتكامل هذه الدعوات الاستعدائية مع الموقف الإسرائيلى من الإسلام. ففى مطلع شهر مارس - آذار ٢٠٠٣ نشرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية تصريحاً لوزير السياحة الإسرائيلى بنلى ألون قال فيه: «من الواضح أن الإسلام فى طريقه إلى الزوال.. فما نشاهده اليوم فى العالم الإسلامى ليس انتفاضة إيمان قوية، بل انطفاء جذوة الإسلام. أما كيف سيزول، فبكل بساطة، بقيام حرب مسيحية صليبية ضد الإسلام فى غضون بضع سنوات ستكون الحدث الأهم فى هذه الألفية، وطبعاً سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى فى الساحة سوى الديانتين الكبيرتين، اليهودية والمسيحية، غير أن ذلك ما زال متروكاً للمستقبل البعيد»[٩].

تمكّن رئيس أساقفة كانتربرى الأسقف لاند من استصدار قانون عن مجلس العموم فى عام ١٦٣٧ يمنع أى بريطانى من اعتناق الإسلام ويحرم شرب القهوة

بين المطرقة والسندان

المسلمون أمام تحديات العصر:

تحدد علاقة المسلمين بالعالم المعاصر العوامل الرئيسة التالية:

١ - العولمة، والتخوّف الإسلامى مما قد تحمله فى طياتها من إلغائية للثقافة وللقيم وللهوية الإسلامية، ومن هيمنة سياسية واقتصادية على العالم الإسلامى.

٢- الإسلاموفوبيا، بمعنى كراهية المسلمين التى تنتشر كالنار فى الهشيم فى العالم المعاصر والتى ازدادت حدة بعد جريمة ٢٠٠١/٩/١١ فى نيويورك وواشنطن.

٣ - التخلّف عن مواكبة التقدم العلمى والاقتصادى والإنمائى العالمى، الذى ترزح تحته معظم المجتمعات الإسلامية، والذى يترافق مع ارتفاع فى نسبة الأمية، والبطالة والإنتاجية.

٤ - الخلافات التى تعصف بين دول العالم الإسلامى والتى تحول دون تحوّله إلى كتلة متراصة تحتل موقعاً محترماً فى لعبة الأمم وفى صناعة القرارات الدولية. الأمر الذى يجعل المسلمين غثاء كغثاء السيل فى مجرى العالم المعاصر، من دون أن يشكو من قلة فى العدد أو من قلة فى الثروات الطبيعية.

وتتداخل هذه العوامل وتتشابك بحيث يتعذر معالجة أى منها بمعزل عن العوامل الأخرى. أما الجامع المشترك بينها فيتمثل فى المبادئ الأساسية التالية:

المبدأ الأول تحوّل القضايا الوطنية (مثل حقوق الأقليات وحتى الأفراد وحرية العبادة وسواها) إلى قضايا عالمية (مؤتمر الأقباط فى الكونغرس بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١٦). وكذلك تحوّل القضايا العالمية (مثل السلام والتنمية و حركة رؤوس الأموال والاستثمارات والخدمات وتبادل السلع) إلى قضايا وطنية.

المبدأ الثانى هو أن القرار الوطنى فى دولة ما لم يعد ملكاً مطلقاً لأصحابه فقط أو وقفاً عليهم فقط. ولكن عملية اتخاذه باتت جزءاً من عملية أوسع تلعب فيها عناصر ما وراء الحدود دوراً أساسيا. وبالتالى فان الممثلين المنتخبين المكلفين بتسييس وإدارة أمور شعب ما أو دولة ما، اصبحوا رهينة نظام عالمى له قوانينه الخاصة التى لا تلتقى دائماً وبالضرورة مع القوانين المحلية، والتى كثيراً ما تتناقض معها أيضا.

المبدأ الثالث هو انحسار فرص التنوع الثقافى الوطنى علماً بأن الدين مكوّن أساسى، بل المكوّن الأساسى لكل ثقافة.

إن الشعور بالاختناق الذى بدأت تعانى منه ثقافات متعددة يعود إلى سيطرة ثقافة واحدة على العالم والى محاولة فرض قيمها وتعميد هذه القيم مقياساً وحيداً للتخلّف أو للتحضّر.

أمام هذا الواقع يجد المسلمون أنفسهم أمام تحديات لا سابق لها تضعهم فى جبهة ضد عولمة الفقر من حيث انه امتهان للكرامة الإنسانية. فالدين أساسا هو من أجل الإنسان وليس العكس. وفى العقيدة الدينية الاسلامية الكثير من التعاليم التى تحضّ على التكافل الاجتماعى بين الناس.

إن الإسلام يحترم الملكية الفردية ولكنه فى الوقت نفسه يحرّم خزن الأموال، بمعنى انه يحرم منع او عرقلة تداولها بين الناس.

والذين يكنزون الذهب والفضة (الأموال) ولا ينفقونها فى سبيل الله (فى سبيل الجماعة) فبشّرهم بعذاب أليم[١٠].

ويشدّد الإسلام على ضرورة توظيف المال فيما ينفع الناس واستثماره فى الإنتاج وفى تشغيل اليد العاملة.

ويحرص الإسلام فى نظرته الاقتصادية على أن تكون الثروة المالية متداولة بين الناس. وقد سنّ التشريعات التى يؤدى اعتمادها إلى أن لا يكون المال دولة بين الاغنياء منكم[١١].

أما على المستوى الثقافى، فمن الملاحظ ان العولمة تتجاوز الخصوصيات الثقافية المختلفة بما يؤدى الى هيمنة ثقافة واحدة، لها مقومات قيمية وأخلاقية تختلف بل تتناقض عن كثير من المقومات القيمية والأخلاقية الإسلامية.

إسلاميا، تكوّنت عناصر الثقافة والتقاليد الثقافية الاسلامية ونمت وتطوّرت بتناغم اساسى مع الدين. وهذا يعنى أن فك الارتباط بين الدين والثقافة الاسلامية يجرد هذه الثقافة من هويتها ويقتلعها من جذورها الروحية. وعلى العكس من ذلك فان الثقافة الغربية الحديثة -والمعولمة- تكوّنت خارج الدين وفى احيان كثيرة قامت على تحدّيه وعلى التناقض معه. وهذا يعنى أن نموّها أو تطوّرها يتطلب دائماً الإبقاء على الحالة التمرّدية والانقلابية للثقافة على الدين، والعمل على عزله عن التدخل أو التأثير فى مسيرتها. أدى ذلك إلى قيام الهوة الواسعة بين الدين والعلمانية، أى بين ما هو إلهى وما هو بشرى، بين ما هو مقدس وما هو دنيوى، حيث الهيمنة فى ثقافة العلمنة المعولمة هى دائماً وبالضرورة للدنيوى.

من هنا التناقض بين الثقافة الغربية والثقافة الاسلامية.

إن التشخيص الغربى لواقع العالم الاسلامى يقوم أساساً على هذا التناقض. فالغرب يعزو تأخر المجتمعات الاسلامية الى تمنّعها عن فك ارتباطها الثقافى بالدين. وهو يرى أن هذه المجتمعات تقصر عن مواكبة المسيرة الحضارية لانها غير قادرة على ان تحذو حذوه بصناعة ثقافة لا دينية.

فى الثقافة الغربية الدين ماضٍ. والتمسك بالدين هو ارتداد عن المستقبل. من هنا فان الثقافة الغربية لا ترفض الاسلام كإسلام، ولكنها ترفض الدين، إسلاميا كان أو مسيحياً، من حيث هو مكوّن لثقافة عصرية. وتعتبر التمسك به حجر عثرة فى وجه انتشار الحضارة الانسانية وعولمتها.

ويصل التباين بين الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية (أرجو أن تلاحظوا أننى هنا أشير الى الغرب وليس الى المسيحية لأن التعاليم والقيم المسيحية منفصلة تماماً عن ثقافة الغرب وحضارته) الى نقطة اللاالتقاء عندما يعتبر الغرب أن نجاحه وتفوقه هو ثمرة اخذه بالرأسمالية وبالعلمنة، وعندما يعتبر فى الوقت نفسه ان فشل العالم الاسلامى وسقوطَه، كما يقول المستشرق ارنست رينان[١٢]، هو ثمرة التزامه بالدين. أما العالم الإسلامى فانه يعزو تفوق الغرب الى ممارسة الاستعمار النهبى، ويعزو تأخر الشعوب الاسلامية الى ما تعرضت له من استعمار وابتزاز والى ما واجهته من محاولات استهدفت ولم تزل تستهدف مسخ شخصيتها وثقافتها الدينية فى محاولة لاضعافها ومن ثم تدجينها واستتباعها.

لا يستطيع العالم الاسلامى ان يقف فى وجه هذا المدّ الإلغائى بمجرد الرفض. فالرفض لم يعد ممكناً واقعياً بعد ان انتجت هذه الحضارة كل الوسائل التى تمكّنها من تعميم ثقافتها وقيمها واذواقها على الآخرين. ولكن العالم الإسلامى يستطيع بالانفتاح على الحضارة الإنسانية، وبالمشاركة فى صناعتها، وبالمساهمة فى إبداعاتها أن يقف فى وجه المدّ الالغائى الذى تتعرّض له ثقافته المميزة. بل انه يستطيع، مع المسيحية، أن يضفى عمقاً روحياً على هذه الحضارة وان يهذب سلوكها بحيث تكون اكثر انسانية مما هى عليه الآن.

قلنا هناك مشكلة حقيقية فى العالم الإسلامى، غير أن هذه المشكلة ليست موجودة فى جينات الخلايا الحيّة فى الانسان المسلم. أى أنها ليست وراثية. ولكنها موجودة فى العقول، وبالتالى لا يمكن معالجتها الا من خلال تغيير ما فى هذه العقول، وذلك من خلال تحفيزها على الانفتاح على آفاق المعرفة التى يحثّ القرآن الكريم فى العديد من آياته الكريمة على اكتشافها فى الكون وفى أنفسنا، «إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم».

تميزت الحضارة الاسلامية بقدرتها على التكيف مع وعلى التعلم من الحضارات الأخرى. ولم تمارس فى اى مرحلة من مراحلها دورا الغائيا أو تذوبياً للحضارات الأخرى. أما الحضارة الغربية فانها تؤمن بفوقيتها وتحاول ان تفرض نفسها انطلاقا من هذه الفوقية على الحضارات الأخرى. وبالتالى فان المشكلة الجوهرية لا تكمن فى رفض الحضارات الضعيفة والمتراجعة لمبدأ التكيّف، بقدر ما تكمن فى اصرار الحضارة الغربية بفوقيتها وليس بتفوقها على منهج الامتصاص والالغاء.

يعترف لوريت اوكتافيو باز (الحائز على جائزة نوبل) أن فشل الفلسفة الغربية فى القرن العشرين يعود الى عجزها عن تقديم صيغة مركبة من تياريها الفلسفيين، الليبرالية والماركسية،

هناك مشكلة حقيقية فى العالم الإسلامى، غير أن هذه المشكلة ليست موجودة فى جينات الخلايا الحيّة فى الإنسان المسلم. أى أنها ليست وراثية. ولكنها موجودة فى العقول

بين المطرقة والسندان

بحيث تركت الحل الوحيد فى الامتصاص او الاستسلام. والآن بسقوط الماركسية حاولت الفلسفة الغربية ان تنهى التاريخ بانتصار الليبرالية، مما يعنى إلغاء كل القيم الاخلاقية والتنظيمية التى تزخر بها الحضارات الأخرى، بما فيها الحضارة الاسلامية.

وكما لاحظ طارق بنورى المدير التنفيذى لمعهد دراسات الانماء السياسى فى إسلام أباد - باكستان قبل نحو عامين من احداث ٢٠٠١/٩/١١، «فإن الكتّاب الغربيين يواصلون تقديم الاسلام على انه مرادف للاصولية والإرهاب. هذه الكتابات تنطلق من شعور عميق بعداء يكمن فى اللاوعى، يصور الإسلام على انه الجانب الشرير والجاهل فى الحضارة الغربية. وتصور هذه الكتاباتُ الغربَ على انه العقل. والإسلام على أنه الجسد. الغرب على انه الثقافة، والإسلام على انه الطبيعة. الغرب على انه مذكر، والإسلام على انه مؤنث. وفى المحصلة الأخيرة يبدو الإسلام وكأنه مثير للغضب والهيجان والعنف والإرهاب، وكلها غرائز جسدية ؛ وهى تحتاج وفقا لمفهوم العصرنة إلى التدجين. وفى الوقت نفسه يرفض المفكرون الغربيون القبول بشرعية اى فكر او قيم او معرفة تصدر عن الإسلام، إذ كيف يمكن التعلم من الجسد؟ بهذا المعنى، يصبح الإسلام عن حق «الاخر» البسيكولوجى للحضارة الغربية. ويجرى التعامل معه على هذا الأساس، وهو الأساس الذى أقام عليه صموئيل هنتنغتون نظريته الصدامية مع الحضارة الاسلامية».

لا يكفى أن ننظر إلى أنفسنا من خلال رفضنا للعولمة او من خلال تحفظنا عليها جزئياً أو كلياً. ولا يكفى أن ننظر إلى العالم من خلال انفسنا باعتبار اننا «خير أمة أخرجت للناس». بل يتحتم علينا ان نتعرف ايضاً على نظرة العالم الينا من خلال القيم التى يعتمدها ويؤصلها ويعمل على بثها ونشرها، ومن خلال المعطيات الواقعية التى تتولى - شئنا أم أبينا - صياغة الأرضية الاقتصادية والمالية للعالم، ورسم المعادلات السياسية والعسكرية المرتبطة بها.

إن قلق العالم من ظاهرة الإرهاب، وقلقنا من ربط العالم لهذه الظاهرة بالإسلام، يشكلان وجهين لواحد من أخطر وأهم التحديات التى يواجهها العالم ككل، والعالم الإسلامى بصفة خاصة.

فى عام ٢٠٠٣ صدر كتاب عنوانه الإسلام المعولم Globalized Islam للكاتب الأمريكى أوليفر روى Oliver Roy . وهذا العام ٢٠٠٥ صدر كتاب آخر عنوانه ارض الجهاد: القوة العسكرية، القيم والحداثة : Landseapes of Jihad Militancy , Morality, Modernity. للكاتب فيصل دافجى Faisal Devji . يعكس الكتابان إضافة إلى عشرات الكتب المماثلة بكل اللغات الحية، تصوراً مشتركاً للعالم الخائف من الإسلام؛ ومن الصيغ الجديدة لممارسة مفهوم الجهاد فى ظل العولمة.

وبموجب هذا التصور تقدم الجهادية على انها نوع جديد من الحركات التى تتجاوز المفاهيم التقليدية للأهداف السياسية (فى اطارها الجغرافى المحدد) بغاية تحقيق مطالب مطلقة وغير محددة مثل العدالة والكراهة.

وبموجب ذلك تحوّل الحركة الجهادية بهذا المفهوم المحلى الى عالمى، والمحدود إلى مطلق. وتنقل الجهاد بالتالى من كونه واجباً جماعياً تقوم به الامة أو الدولة فى اطار حساب دقيق لتوازن القوى والامكانات الربح او الخسارة، إلى عمل فردى يؤديه شخص واحد او حفنة من الاشخاص المتحررين من مثل هذه الحسابات المعقدة والمتفلتين من مسؤولية النتائج والعواقب المترتبة عليها، أياً تكن.

والمراهنة فى ذلك هى على ما توفره ادوات العولمة الجديدة من إمكانات لتوصيل هذا العمل الفردى المحدود الى الامة كلها، والى العالم كله وبصورة مثيرة عبر الاعلام وشاشات التلفزة. بحيث يتم التعامل مع هذا العمل الجهادى وكأنه عمل تتعاطف معه الأمة كلها او انه يتم من أجلها وباسمها.

وبذلك تتحمل الامة تبعات عمل يقوم به فرد أو افراد لا يخضع أو لا يخضعون للمساءلة او للمحاسبة. فيما تدفع الأمة كلها ثمن ما يفعل او يفعلون. لو كانت هناك مرجعية واحدة تخطط وتقرر وتنفذ باسم العالم الاسلامى لما تعددت الدكاكين الجهادية ولما وجد مليار و ٢٥٠ مليون مسلم انفسهم مضطرين لأن يدفعوا من مصالحهم ومن كراماتهم الإنسانية، وحتى من رصيد عقيدتهم الدينية ثمن ردود فعل يبررها الاحتكام الى اليد وليس الى العقل والمنطق. ولا يغير من هذا الامر سواء كانت هذه المرجعية المركزية سياسية متمثلة فى منظمة المؤتمر الاسلامى او دينية متمثلة فى مجلس عالمى للافتاء.

لقد قررت القمة الاسلامية التى عقدت فى ماليزيا وضع استراتيجية اسلامية جديدة لمخاطبة العالم غير الاسلامى بما يصحح الصور النمطية السلبية التى تتخذ ذريعة لتمرير قرارات واجراءات معادية للمسلمين فى دولهم وفى خارجها. ولكن هذا القرار الهام يذكرنا بقرار اهم صدر عن القمة الاسلامية التى عقدت فى عام ١٩٨١ فى الطائف ينص على وضع استراتيجية لتحرير مدينة القدس. ولكن لا هذه الاستراتيجية التحريرية أبصرت النور وحررت حبة تراب واحدة من القدس، ولا استراتيجية الخطاب الجديد تحمل اية تباشير على احتمال ولادة لغة جديدة فى مخاطبة العالم.

ان لحكومات الدول الاسلامية مسؤولياتها، وللشعوب الإسلامية خياراتها. فإذا كانت الحكومات ملوية الذراع مغلوبة على أمرها، فلتكن خياراتكم الشعبية تعبيراً عن الضمير الاسلامى الحى المؤمن بأن لا غالب الا الله.

خاتمة:

ان ثقافة العداء للاسلام ليست ثمرة جريمة ٢٠٠١/٩/١١، وإن كانت هذه الجريمة قد وظفت على اوسع نطاق لتعميم هذه الثقافة وتعميقها وتجذيرها فى العقول والقلوب. وما منهجية تشويه الاسلام والمطالبة باعادة كتابة بعض الآيات القرآنية (؟) وحذف (؟) بعضها الآخر، أو اعتماد تفاسير معينة لها، سوى أحد مظاهر ثقافة الاستعداء المتجذرة منذ عقود بل ومنذ أجيال والتى تتناقض مع حرية المعتقد ومع القيم الانسانية وحقوق الانسان.

على أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق العالم الإسلامى الذى لم يفعل شيئاً يذكر لتصحيح ثقافة الجهل والتجاهل التى تحوّلت مع الوقت إلى ثقافة استعدائية منغرسة فى الفكر الغربى. كان يكتفى بالإدانة عن بعد، متكئاً على مخدة نظرية المؤامرة أو على نظرية الفسطاطين. ثم جاءت جريمة ٢٠٠١/٩/١١ لتعطى هذه الثقافة مبررات وأبعادا جديدة ألهبت مشاعر اللاثقة والكراهية (اسلاموفوبيا). ورغم أن بعض الأصوات الإسلامية العاقلة ترتفع من هنا أو من هناك مصححة ومحاورة بالتى هى أحسن، أو منبهة ومحذرة من عواقب الجهل والتجهيل، فإن صدى أصوات النشاز الإسلامى تذهب بعيداً جداً مثل ضربات الطبل الفارغ الذى يصمّ الآذان.. الأمر الذى يعمق الهوة بين الإسلام وثقافة كراهيته واستعدائه. ■

قلق العالم من ظاهرة الإرهاب، وقلقنا من ربط العالم لهذه الظاهرة بالإسلام، يشكلان وجهين لواحد من أخطر وأهم التحديات التى يواجهها العالم ككل، والعالم الإسلامى بصفة خاصة

الحواشى:

(1) Wolfgang G. Schwanitz- Germany and The Middle East, 1871-1945, Ib .٢٠٠٤-roamericanin/ vervuert

(2) Gaudeul, Encounters and clashes, Vol. II, P. 78

(3) Ilvid. Vol II, P. 19

(4) Richard Nixon, Zeize the Moment, Simon Schuster, N.Y. 1992. P. 194.

(5) Blaetter fuer deutsche u. internationale Politik 10/1990, P.1158-1163.

(6) H. Lindsay, The Final Battle, P. 45.

(7) Richard Vara, Texas seccesion rumor, attacks on Islam mark Baptist meeting, House Chronicle, 10 June (2002).

(8)Washington Post, Vol. 18, 2001.

(٩) ما هو الهدف الحقيقى لأعمال العنف فى الرياض - باتريك سيل، جريدة الحياة ٢٠٠٣/٥/١٦.

(١٠) سورة التوبة - آية ٣٥.

(١١) سورة الحشر - آية ٧.

(١٢) «الماركسية والعالم الإسلامى» - ص ٩٨،٩٧